



الطابع المحلي في شعر ابن درّاج القسطلّي

خالد سالم المبروك^{1*} علي عبدالرحيم أحميدة عمر^{2*}

قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم، جامعة عمر المختار - القبة

Doi: <https://doi.org/10.54172/8jwb1m75>

المستخلص: برزت عند بعض شعراء الأندلس ظاهرة مميزة، وهي ما يعرف باسم (الطابع المحلي) أو (الأندلسية) ويقصد بها: مدى تأثير الشاعر بروح الإقليم، وظروفه الاجتماعية، والثقافية، والبيئية بشكل يمكن القارئ من خلاله أن يحكم على هذا الشاعر بأنه من أبناء هذا الإقليم. وقد حاولت هذه الدراسة تسليط الضوء على أحد شعراء الأندلس المشهورين، وهو ابن دراج القسطلّي؛ لبيان مدى تأثيره بطابع الإقليم، وإبراز هذه الظاهرة في شعره، وتحمل هذه الدراسة عنوان (الطابع المحلي في شعر ابن دراج القسطلّي). وأهمية هذه الدراسة هي إبراز ظاهرة تميز بها بعض شعراء الأندلس، حاولوا من خلالها بيان ارتباطهم بإقليمهم، وعشقهم لهذا الإقليم، كما حاولوا من خلال هذه الظاهرة الرد على من يتهمون شعراء الأندلس بالتقليد، وعدم الاستقلالية عن شعر المشرق. وقد اعتمدت هذه الدراسة على المنهج التاريخي من خلال رصد هذه الظاهرة في شعر ابن دراج على مدى سنوات حياته. وقد خلصت الدراسة بتأثير الشاعر بالظروف السياسية في الأندلس، ويتجلى ذلك في كثرة ذكره للأمراء والقادة الأسبان، وذكر المدن والمواضع التي وقعت فيها معارك بين المسلمين وأعدائهم. كم تأثر الشاعر ببيئة الأندلس، وتمثل هذا في كثرة ارتباط شعره بالطبيعة، وحضورها في جميع أغراضه الشعرية. بالإضافة إلى تأثيره بثقافة الإقليم، وتقاليد، ولغته، ونهضته الحضارية، ويظهر هذا في مواضع كثيرة من شعره.

الكلمات المفتاحية: الطابع المحلي، الأندلس، ابن دراج القسطلّي، الظروف الاجتماعية

The Local Characteristics in the Poetry of Ibn Darraj Al-QastaliKhaled Salim Al-Mabrouk¹, Ali Abdulrahim Ahmida Omar²

Department of Arabic Language, Faculty of Arts and Sciences, Omar Al-Mukhtar University - Al-Qubba

Abstract: A unique phenomenon was arisen by the Poets of Andalusia, which is known as (local character) or (Andalusian) and it means: to what extent which the poet is influenced by the spirit of the territory, his social, cultural and environmental background in a way that the reader can judge this poet that his childhood in belongs to certain region. This study is to shed light on one of the famous poets of Andalusia. Therefore, this study investigated the poetry of Ibn Darraj Alkstali and how he was influenced by the nature of the territory and to highlight this phenomenon further. This study has specific title (local character in the poetry of Ibn Darraj Alkstali). The importance of this study is to highlight a phenomenon that characterized some of the poets of Andalusia and also examine show their bonds to their territory, their nostalgia for this region and focusing on this phenomenon through how they tried to reply to those who accused the poets of Andalusia of imitation and the lack of independence from the oriental poetry. This study was based on the historical approach by monitoring this phenomenon in the poetry of Ibn Darraj over the years of his life. This study suggested that, the poet was influenced by the political conditions in Andalusia, which is illustrated by mentioning of the Spanish princes, leaders, and mentioned the cities and places where battles between Muslims and their enemies were. Also the poet was influenced by the environment of Andalusia, where represented in the abundance of his poetry to nature and its presence in all its poetic purposes. An addition his poet was influenced by the culture of the territory, his traditions, his language, and his civilized Renaissance. This significantly appears in many lyrics of his poetry.

Keywords: Local character, Al-Andalus, Ibn Darraj al-Qastalli, social conditions.

ABSTRACT

A unique phenomenon was arisen by the Poets of Andalusia, which is known as (local character) or (Andalusian) and it means: to what extent which the poet is influenced by the spirit of the territory, his social, cultural and environmental background in a way that the reader can judge this poet that his childhood in belongs to certain region. This study is to shed light on one of the famous poets of Andalusia. Therefore, this study investigated the poetry of Ibn Dragah Alkstali and how he was influenced by the nature of the territory and to highlight this phenomenon further. This study has specific title (local character in the poetry of Ibn Dragah Alkstali). The importance of this study is to highlight a phenomenon that characterized some of the poets of Andalusia and also examine show their bonds to their territory, their nostalgia for this region and focusing on this phenomenon through how they tried to reply to those who accused the poets of Andalusia of imitation and the lack of independence from the oriental poetry. This study was based on the historical approach by monitoring this phenomenon in the poetry of Ibn Darraj over the years of his life. This study suggested that, the poet was influenced by the political conditions in Andalusia, which is illustrated by mentioning of the Spanish princes, leaders, and mentioned the cities and places where battles between Muslims and their enemies were. Also the poet was influenced by the environment of Andalusia, where represented in the abundance of his poetry to nature and its presence in all its poetic purposes. An addition his poet was influenced by the culture of the territory, his traditions, his language, and his civilized Renaissance. This significantly appears in many lyrics of his poetry.

المقدمة

الحمد لله حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على خير خلق الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد.

يقصد بالطابع المحلي في الشعر، كون الشاعر واضح التأثير بطابع الإقليم، وحياته السياسية والاجتماعية واللغوية، وأثر ذلك كله في شعره.

وبما أن حديثنا هنا يدور حول شاعر من الأندلس فهذا يدفعنا إلى إلقاء نظرة على هذا الإقليم من النواحي المختلفة، ويمكن للمتأمل في تاريخ الأندلس أن يرى بوضوح أن هذا الإقليم له خصوصية، وطابع مستقل، يميزه عن غيره.

الأهمية العلمية لموضوع البحث:

من الناحية السياسية هذا الإقليم لم يكن في الأساس أرضاً للعرب والمسلمين، أي أنهم ليسوا سكانه الأصليين، بل ارتحلوا إليها بعد الفتح الإسلامي، ليخالطوا قوماً جددًا، يختلفون عنهم ديناً، ولغة، وثقافة، وخاضوا معهم حروباً طويلة، في سبيل توطيد حكم دولة الإسلام، وكان لهذا أثر في شعراء المسلمين الذين أكثروا في شعرهم من أسماء الملوك والأمراء والقادة الإسبان، وكذلك أسماء الكثير من البلاد الأندلسية التي دخلها المسلمون خلال معاركهم مع المسيحيين.

أما من الناحية البيئية، فمن المعروف أن الأندلس كانت من أجمل البلدان وأبهاها وأنضرها، فهي تمتاز باعتدال المناخ، ووفرة المياه، وتنوع الثمار، وخصوبة التربة، وكثرة البساتين والحدائق والأزهار، وكان لهذا أثره في شعراء الأندلس الذين تغنوا بجمال هذه الطبيعة، والتنزه فيها، والتمتع بأفائها.

أما من الناحية الاجتماعية والثقافية، فقد كان المجتمع الأندلسي خليطاً من أجناس مختلفة، منهم العرب الفاتحون، والبربر الذين شاركوهم الفتح، وأهل الأندلس من الإسبان، والأجناس الأخرى التي عاشت معهم كالصقالبة وغيرهم، وقد امتزجت هذه الأجناس مع بعضها بطريقة غريبة، وكان من نتائج هذا الامتزاج بروز الشخصية الأندلسية التي أخذت بحظ وافر من حضارات هذه الشعوب، وأدى ذلك إلى طفرة في المجالات الثقافية والأدبية والعلمية والحضارية والعمرانية، وقد تأثر شعراء الأندلس بذلك، فأبرزوا هذا التطور والازدهار في أشعارهم.

أهداف البحث:

وسنحاول في هذا البحث تسليط الضوء على أحد شعراء الأندلس المشهورين، وهو ابن دراج القسطلي لبيان مدى تأثره بطابع الإقليم الذي عاش فيه (الأندلس) وهل يعد ابن دراج من الشعراء البارزين في هذا الجانب؟ وإلى أي مدى تنطبق عليه ظاهرة (الأندلسية) أي التأثر بروح الأندلس.

وعنوان البحث (الطابع المحلي في شعر ابن دراج القسطلبي) وتكمن أهمية هذا البحث في إبراز ظاهرة تميز بها بعض شعراء الأندلس، حاولوا بها إظهار الأدب الأندلسي بمظهر مستقل، وإخراجه من عباءة الأدب المشرقي.

إشكالية البحث:

ويحاول هذه البحث الإجابة على السؤال التالي: هل كان ابن دراج القسطلبي من الشعراء المتطبّعين بطابع الإقليم؟ وهل لهذا التطبّع أثر في شعره؟

محتوى البحث:

ويحتوي البحث على أربعة مباحث هي: المبحث الأول ابن دراج حياته وشعره، المبحث الثاني الطابع السياسي، المبحث الثالث الطابع البيئي، المبحث الرابع الطابع الثقافي.

المنهج العلمي:

تم الاعتماد في هذه البحث علي المنهج التاريخي من خلال تتبع هذه الظاهرة في مراحل حياة ابن دراج المختلفة.

الدراسات السابقة:

أما عن الدراسات السابقة للموضوع، فليس بين أيدينا دراسة مستقلة عنه، وكل ما هو متوافر إشارات في بعض الكتب، مثل كتاب الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، للدكتور أحمد هيكل، الذي ذكر هذه السمة، كونها سمة مميزة لشعر ابن دراج، ومثل لها بالعديد من الأبيات الشعرية، وأضاف إليها سمات أخرى ميزت شعر ابن دراج عن غيره، وهي الشعور الأسري، والتحليل المعنوي، والوصف النفسي، والنضج الثقافي.

وهناك إشارات أخرى حول الموضوع في كتاب تاريخ الأدب العربي (عصر الدول والإمارات) للدكتور شوقي ضيف، وكتاب ملامح الشعر الأندلسي، للدكتور عمر الدقاق.

المبحث الأول ابن درّاج (حياته وشعره):

هو أبو عمر أحمد بن محمد بن سليمان بن عيسى بن درّاج الأندلسي القسطلّي الشاعر الكاتب⁽¹⁾ ينسب إلى قسطلّة دراج، وهي قرية في غرب الأندلس، ودراج هو الذي تنسب إليه القرية، فيقال: قسطلّة دراج⁽²⁾.

كان كاتباً من كتّاب الإنشاء في أيام المنصور بن أبي عامر، وهو معدود في جملة العلماء، والمقدمين من الشعراء، والمذكورين من البلغاء، شعره كثير مجموع يدل على علمه، وله طريقة في البلاغة والرسائل تدل على اتساعه وقوته⁽³⁾ وهو من فحول شعراء الأندلس والمجيدين منهم⁽⁴⁾.

يقول عنه الثعالبي في يتيمة الدهر: " كان بصقع الأندلس كالممتبّي بصقع الشام، وهو أحد الفحول يجيد ما ينظم ويقول"⁽⁵⁾.

والمعلومات عن نشأته في كتب التراجم شحيحة جداً لكن يذكر الدكتور شوقي ضيف - وربما كان هذا اجتهاداً منه - أنه أتم حفظ القرآن الكريم، ثم انتقل إلى حلقات الشيوخ بجيان فاتسعت ثقافته اللغوية والأدبية، ويبدو أن ملكته اللغوية تفتّحت مبكراً، فأخذ ينظم الشعر حتى عرف بين شعراء بلده، ولم يلبث أن تزوج، وطمحت نفسه إلى الشهرة، فرأى أن يرحل إلى قرطبة محاكياً بذلك شعراء جيان ممن سبقوه إليها، فوفد على المنصور ابن أبي عامر، وظل ملازماً له أكثر من عشر سنوات، ثم لزم ابنه المظفر، وبعد وقوع الفتنة ظل ابن دراج يقدم مدائحه لمن يصل للحكم، ثم تنقل بين بعض مناطق الأندلس، مادحاً لأمرائها حتى وفاته⁽⁶⁾.

توفي قريباً من العشرين والأربعمئة، وقيل توفي سنة إحدى وعشرين وأربعمئة، ومولده في المحرم سنة سبع وأربعين وثلاثمئة⁽⁷⁾.

المبحث الثاني الطابع السياسي:

المتتبع لشعر ابن دراج يرى بوضوح غلبة هذا الطابع على شعره؛ لأنه قضى أغلب حياته شاعراً سياسياً يلازم الملوك والأمراء يمدحهم ويذمهم، ويخلد انتصاراتهم، ويذكر مثالب أعدائهم، وقد اتخذ ذلك مصدراً للتكسب؛ لكي يحصل على ما يعول به أسرته الكبيرة.

ويبدأ ذلك بوفوده على المنصور بن أبي عامر حاجب هشام المؤيد، وقد لزمه مدة تصل إلى عشر سنوات، ويتوفى المنصور سنة 392هـ، ويخلفه ابنه المظفر، وكانت مدة حكمه حتى سنة 399هـ فترة رخاء ورفاهية، واستن سنة أبيه في غزو النصارى، ولابن دراج فيه مدائح مختلفة، وخلفه أخوه عبدالرحمن في الحجابة لمدة شهرين إذ قتل في إثرهما، وكان نحساً على نفسه وعلى الأندلس؛ إذ انفتح به باب فتنة عظيمة ظلت قرطبة تعاني منه نحو عشرين عاماً هدمت فيه مدينتا الزهراء والزاهرة، ونجد ابن دراج يقدم مدائحه لمن يستولون على صولجان الخلافة والحكم واحداً بعد الآخر، فهو يقدمها للمهدي، ثم للمستعين، ولوزير القاسم الحمودي، ثم بني حمود في سبته، ثم الأمراء الذين استولوا في أثناء الفتنة على بلدان الأندلس الشرقية مرسية وشاطبة والمرية، ثم ينتهي به المطاف إلى الأمراء التجيبين في سرقسطة سنة 406هـ؛ ليقم في كنف منذر بن يحيى، ولا يترك مناسبة إلا ويمدحه فيها، وخاصة حين ينكل بالنصارى المجاورين لإمارته، ويتوفى منذر سنة 412هـ، فتظل له نفس الرعاية عند ابنه يحيى، ويختم حياته بالوفود على أمير دانية سنة 419هـ لكن القدر لم يمهل طويلاً، فقد توفي سنة 421هـ⁽⁸⁾.

يمكن القول إن ديوان ابن دراج كان سجلاً تاريخياً حافلاً بأسماء الملوك والأمراء والقادة الإسبان، وبأسماء المدن والقلاع والحصون والأنهار والجبال والأودية والمواضع التي وقعت عندها معارك بين المسلمين والنصارى؛ ولعل السبب في ذلك هو أنه كان ملازماً لبلاط الملوك والأمراء، ومرافقاً لهم في معاركهم وفتوحاتهم، ولاسيما في عهد المنصور بن أبي عامر، (الذي كان قائداً فذاً شجاعاً، وقد واجه خصومه في أكثر من خمسين معركة)⁽⁹⁾، كان ابن دراج شاهداً على أغلبها، موثقاً لأسماء هذه المعارك وأماكنها، وأسماء قادتها، فقد كان شعره وسيلة الإعلام التي خلدت هذه الوقائع، وأصبح شعره مرجعاً، يلجأ إليه من يريد التعرف على معارك المسلمين مع المسيحيين،

وعلى أشهر المدن والأماكن والشخصيات الأندلسية، وسنعرض فيما يلي لأهم الشخصيات والمواضع التي ذكرها ابن دراج:

أ. أسماء الملوك والأمراء والقادة الإسبان:

في سنة 384هـ وقعت معركة بين جيش المنصور وحاكم قشتالة (غرسية بن فرذلند)، وانتهت هذه المعركة بانتصار المنصور، فأنشأ ابن دراج قصيدة خلد فيها هذه المعركة، وذكر فيها اسم قائد المسيحيين المهزوم من ذلك قوله:

وَتَرَكْتَ (غَرْسِيَّةً) بِنِقْمَةِ عَدْرِهِ *** بِالرُّوعِ فِي أَرْضِ الْفَضَاءِ مُقَيِّدًا⁽¹⁰⁾

وحيثما انتصر المنصور في معركة بنبلونة أنشأ ابن دراج قصيدة خلد فيها هذا الانتصار وأشار فيها إلى حاكم بنبلونة (شانجة بن غارسية) بقوله:

فَتَلَّكَ نَفْسُ (ابْنِ سَنْجِ) لَا مَالَ لَهَا *** مِنْ مِيْتَةِ السَّيْفِ أَوْ عَيْشٍ عَلَى نَكْدِهِ⁽¹¹⁾

وفي القصيدة نفسها يشير إلى أحد الأمراء المسيحيين، وهو (فرذلند) بقوله:

(وَفِرْدَلَنْدُ) رَدَدْتَ الْمُلْكَ فِي يَدِهِ *** وَمَا رَجَا غَيْرَ رَدِّ الرُّوحِ فِي جَسَدِهِ⁽¹²⁾

وفي قصيدة أخرى يذكر ابن روزمير ملك ليون بقوله:

وَدَنَا (ابْنُ رُذْمِيرِ) يُرْزَلُ خَطْوُهُ *** أَمَلٌ تَقَسَّمَ نَفْسَهُ وَحِدَارُ

فَفُؤَادُهُ مِنْ دُعْرِ سَيْفِكَ طَائِرٌ *** طَوْرًا وَمِنْ عَجَلِ إِلَيْكَ مُطَارٌ⁽¹³⁾

وفي قصيدة أخرى يشير إلى (أرمنفور) قائد خيل الأفرنج، فيقول:

شَلُو (لَأَرْمَنْقُورِهَا) حُسِرَتْ بِهِ *** لِلرَّحْفِ ثُمَّ إِلَى الْجَحِيمِ حُسُودُهَا⁽¹⁴⁾

كما يشير في إحدى قصائده إلى (برمند) أحد حكام مملكة ليون فيقول:

وَأَخْلَفَ (بَرْمَنْدُ) مِنْهَا الرَّجَاءُ *** وَمَا زَادَهُ الشَّرْكَ إِلَّا تَبَارًا

أَطَرْتِ إِلَى نَاطِرِيهِ عَجَاجًا *** تَرَكْتِ بِهِ عَقْلَهُ مُسْتَطَارًا⁽¹⁵⁾

وفي قصيدة أخرى يذكر (ميرو) أحد القوامس المسيحيين فيقول:

حَتَّى صَبَحْتَ بِلَادَ (مَيْرُو) وَقَعَةً *** أَنْحَى عَلَى الْإِشْرَاكِ سُوءَ صَبَاحِهَا⁽¹⁶⁾

وفي قصيدة أخرى يذكر الأمير (ابن ميره) فيقول:

وَلَيْنَ حَمَى عَنكَ (ابْنُ مَيْرُ) مَحَلَّةً *** فِي شَامِخِ أَعْيَا النُّجُومِ حُلُولُهُ

فَلَقَدْ دَعَاكَ إِلَى رِضَاكَ وَدُونَهُ *** غَوْلُ الضَّلَالِ حَزُونُهُ وَسُهُولُهُ⁽¹⁷⁾

ب. أسماء المدن والمواضع:

يعج شعر ابن دراج بأسماء المدن الأندلسية التي مازال بعضها يحتفظ بنفس الأسماء حتى يومنا هذا .

ولا يقتصر في شعره على ذكر المدن فقط، بل هناك أيضا إشارات إلى المواضع التي وقعت فيها معارك بين المسلمين وأعدائهم من حصون، وقلاع، وكنائس، وجبال وأنهار، ووديان.

وسنبدا بأهم المدن التي ذكرها ابن دراج في شعره:

فيقول عن مدينة بلنسية:

(بَلَنْسِيَّةً) مَثْوَى الْأَمَانِيِّ فَاطْلَبِي *** كُنُوزِكَ فِي أَفْطَارِهَا وَادِّخَارِكَ⁽¹⁸⁾

ويقول عن قرطبة:

وَاجْنَحُ (لِقُرْطُبَةٍ) فَعَانِقُ تَرْبِهَا *** عَنِّي بِمِثْلِ جَوَانِحِي وَ تَرَائِبِي⁽¹⁹⁾

ويقول عن سرقسطة:

وَلَكُمْ بَدَارِ الْمَلِكِ مِنْ (سَرْقُسْطَةِ) *** قَلَمٌ لِأَقْلَامِ الْبَرِيَّةِ فَارِعُ⁽²⁰⁾

ويقول عن بنبلونة:

وَقَرَيْتَ عَلِيًّا (بِنْبُلُونَةَ) عَزْمَةً *** هَبَّتْ عَلَيْهَا مِنْ مَهَبِ رِيَّاحِهَا (21)

ويقول عن طليطلة:

رَأْسُ مُطَلٍّ عَلَى بَابِي (طَلِيْطَلَةَ) *** يُؤْمِي إِلَى الْكُفْرِ هَذَا مَوْعِدُ الْكَفَرَةِ (22)

ويقول عن قشتالة في وسط أسبانيا:

وَبَسَطْتَ مِنْ (قَشْتَالَةَ) يَدَ آمِنٍ *** لِرِضَاكَ فِيهَا يَارِقُ وَسِوَارُ (23)

ويقول عن المرية:

مَتَى تَلَحَّظُوا قَصْرَ (المَرِيَّةِ) تَنْظُرُوا *** بِبَحْرِ حَصَى يُمْنَاهُ دُرٌّ وَمَرْجَانُ (24)

ويقول عن لاكورونا عاصمة جيليقية:

وَقَدْ حَسَفَا (كُرْتَةَ) بِالْعَوَالِي *** وَبُوعَةَ بَادِنِينَ وَعَائِدِينَا (25)

ويقول عن مدينة لميق وهي مدينة برتغالية:

وَرَاخًا بِالمَمَائَا فَاسْتَبَاحَا *** دِيَارَ (لَمِيْقُ) غَيْرَ مُعَرِّدِينَ (26)

ويقول عن شنتياقب العاصمة القديمة لجيليقية:

(بِشِنْتِيَاقَةَ) لَمَّا أَنْ دَلَفَتْ لَهُ *** بِالْبَيْضِ كَالْبَدْرِ يَسْرِي فِي سَنَا شُهُبِهِ (27)

هذه أهم المدن التي ذكرت في ديوان ابن دراج، وإلى جانب هذه المدن فإننا نجد في الديوان ذكراً لمواضع مختلفة في الأندلس وقعت فيها معارك بين المسلمين وأعدائهم.

ومن أهم هذه المواضع:

1. القلاع:

فيقول عن قلعة لونة في مقاطعة ليونالتي فتحها المسلمون:

وَأَنْتَ الَّذِي أَوْرَدْتَ (لُؤْنَةَ) قَاهِرًا *** خُيُولًا سَمَاءَ الْأَرْضِ فِيهَا نُحُورُهَا

وَقَدْ لَاحَ بِالنَّصْرِ الْعَزِيزِ لَوَاوُهَا *** وَأَعْلَنَ بِالْفَتْحِ الْمُبِينِ بَشِيرُهَا⁽²⁸⁾

ومن ذلك ذكره لقلعتي قلنية وسانت استيبان في إمارة قشتالة:

فيقول عن الأولى:

و(قُلْنِيَّةُ) أَنْشَأَتْ فِيهَا عَارِضًا *** لِلْحَرْبِ أَبْرَقَ بِالْحُتُوفِ وَأَزْعَدَا⁽²⁹⁾

ويقول عن الثانية:

وَتَرَكْتَ (شَنْتَاشْتِينَا) وَكَأَنَّمَا *** حَطَّتْ سُبُوفُكَ مِنْ عِدَاهَا الْفَرَقْدَا⁽³⁰⁾

ومن ذلك أيضا ذكره لحصن لنيوش الواقع في حدود البرتغال:

(وَلَنِيُوشُ) أَمْطَرَتْهَا صَائِبَاتٍ *** تُصِيبُ النُّفُوسَ وَتَعْفُو الدِّيَارَا⁽³¹⁾

2. الأنهار:

ذكرت في قصائد ابن دراج إشارات لبعض الأنهار في الأندلس.

من ذلك ذكره لنهر شرنبة وهو نهر صغير:

وَاسْتَوْدَعُوا جَنْبِي (شَرْنَبَةَ) وَقَعَةً *** هَدَّ الْجِبَالَ الرَّاسِيَاتِ وَيُدُّهَا⁽³²⁾

ومنه أيضا ذكره لنهر دوير حيث يقول:

حَتَّى عَبْرَنَ خَلِيَجَ (دُوَيْرُ) كَأَنَّهَا *** سَفُنُ تَرَامَى بِالْحُنُوفِ بِحَارُهَا (33)

ومنه أيضا ذكره لنهر بوغة، وهو نهر يصب في المحيط الأطلسي:

وَقَدْ خَسَفَا كُرْتَةَ بِالْعَوَالِي *** وَ (بُوغَةَ) بَادِيَيْنِ وَعَائِدِيْنَا (34)

3. الأودية:

يذكر ابن دراج في إحدى قصائده وادي آر، وهو واد وقعت حوله معركة مشهورة فيقول:

وَدَنْتُ لَهُمْ فِي (أَرْ) تَحْتَ صَوَارِمِ *** وَرَيْتُ بَعِزَّ الْمُسْلِمِينَ جُنُودَهَا (35)

4. الكنائس:

في شعر ابن دراج إشارة لكنيسة مشهورة عند المسيحيين، وهي كنيسة سانتا كروز فيقول:

وَبِيْعَةُ (سَنْتَا فُرُوجِ) أُوْرِيَتْ فَوْقَهَا *** سَنَا لَهَبٍ فِيهِ لِعَمِيَائِهَا شَرْحُ

وَكَانَ لَهَا الْفِصْحُ الْأَجْلُ فَأُصْبَحَتْ *** لِنَارِكَ فِصْحًا مَالَهَا بَعْدَهَا فِصْحُ (36)

5. مواضع أخرى:

يشير ابن دراج في شعره إلى بعض المواضع الأخرى التي وقعت حولها معارك مهمة من ذلك ذكره لمنطقة قنتيش حيث يقول:

وَشِعَابُ (قَنْتِيْشِ) وَقَدْ حَشَرَتْ لَهُمْ *** أُمَّمٌ بُعَاةٌ لَا يُكْتُ عَدِيدُهَا (37)

ومن ذلك ذكره لمنطقة قبرة التي تبعد عن قرطبة ثلاثين ميلاً فيقول:

وَاسْأَلْ (بِقَبْرَةَ) وَاللَّائِي أَطْفَنَ بِهَا *** عَن عَرَمَاتٍ لَهُ فِيهِنَّ تُرْتَدَفُ (38)

ويذكر كذلك منطقة بريدل، وهو موضع في قشتالة فيقول:

لَا مِثْلَ (بَرِيدِيْلَ) يَوْمَ حَوَيْتَهَا * * * فَخَرًّا أَعَارَ عَلَى الزَّمَانِ وَ أَنْجَدَا (39)

المبحث الثالث الطابع البيئي:

حَبَا اللهُ الأندلس ببيئة طبيعية مميزة متنوعة مختلفة باختلاف أقاليمها؛ فهي تتميز باعتدال المناخ، ووفرة المياه، وكثرة الثمار واتصالها على مدار العام يقول عنها سيد نوفل: "وجو هذه البلاد معتدل، وترتبتها خصبة، وليس بها صحارى، فهي أنضر البقاع الإسلامية، وأبهاها، تبدو كروضة جميلة يجري فيها الماء، وترتفع الجبال الخضراء، وتغرد الطيور فوق أغصان أشجارها، وتتساب الماشية والأنعام في مراعيها الجميلة، ويعمل الفلاحون في حقولها الكريمة ويعطر النسيم بساكناتها المشرقة، ويستشعر أهلها جميعاً معاني ذلك الجمال، فيهيمنون بها ويقبلون على اللهو والمرح، ويركنون إلى الدعة والمتاع بالطبيعة مصطنعين ألواناً من التسلية، تتفق مع نزعتهم إلى اللعب، قد تكون هينة، وقد تكون عنيفة، وأشهر أنواع لهوهم مصارعة الثيران التي شغفوا بها، وأقاموا لها الملاعب والميادين" (40).

ويقول عنها الرازي: "هي موسعة من البلدان كريمة البقعة بطبع الخلفة، طيبة التربة مخصبة القاعة، منبجسة العيون الثرار، متفجرة بالأنهار الغزار، قليلة الهوام ذوات السموم معتدلة الهواء أكثر الأزمان، لا يزيد قيظها زيادة منكرة تضر بالأبدان، وكذا سائر فصولها في أعم سنيها، تأتي على قدر من الاعتدال، وتوسط من الحال، وفواكهها تتصل طول الزمان، فلا تكاد تعدم لأن الساحل ونواحيه يبادر بباكورة كما أن الثغر وجهاته والجبال التي يحفها برد الهواء، وكثافة الجو تستأخر بما فيها من ذلك، حتى يكاد طرفا فاكهتها يلتقيان" (41).

وقد تأثر شعراء الأندلس بما حوته بينتهم من مظاهر في الطبيعة، واتجاهات في السياسة، وبما أفصحوا به من تأملاتهم وأفكارهم، وما سيطر من ظواهر على مجتمعهم، وكان تأثرهم بالطبيعة

أشد وأقوى، فلطبيعة أثرها الواضح في الشعر العربي منذ العصر الجاهلي غنى الشعراء لها، وتغنوا بها، ووقفوا أمام مجالها، ووهبوا أحاسيسهم، مستجلين جمالها، متأملين روائعها في السماء والماء، وفي المراعي الخضراء والجنان الزهر، وفي الصحراء القاحلة، والمزارع الناضرة، ووصفوا حرارة الصيف، وزمهير الشتاء، استقبلوا الربيع الضاحك، وتأثروا بالخريف العاصف إلى غير ذلك مما نبضت به قلوبهم، وتحركت له مشاعرهم، فصاغوه شعراً جميلاً يصور دخائل نفوسهم، ويرسم معالمها⁽⁴²⁾.

وتمثل البيئة في شعر ابن دراج معيماً لا ينضب، فهو يستمد منها كثيراً من الصور كما أنه يوظفها في جميع تجاربه السعيدة منها والحزينة.

فيقول مثلاً عن تجربة شقائه واغترابه:

و رَأَيْتُ أَرْدِيَةَ النُّهَى مَنشُورَةً *** تَسْعَى بِجِدَّتِهَا إِلَى أُنْرَابِي

و رَأَيْتُ دَارَ اللّٰهُوِ أَقْوَى رُبْعُهَا *** وَخَلَّتْ مَعَاهِدُهَا مِنَ الْأَحْبَابِ⁽⁴³⁾

وتظل بيئة الأندلس حاضرة في فكر الشاعر وصوره الشعرية حتى بعد أن ابتعد عن الأندلس يقول عنها متحسراً:

لِلّٰهِ مِنْ وَطَنِ قَلْبِي لَهُ وَطَنٌ *** يَبْلَى وَأَبْلَى وَ مَا تَبَلَى فَجَائِعُهُ

و طَالَمَا أَيْبَعْتُ حَوْلِي حَدَائِقُهُ *** وَالْعَيْشُ غَضُّ أُنَيْقِ الرُّوضِ يَابِعُهُ

و كَمْ أَظَلُّ مَقِيلِي وَسَطَ جَنَّتِهِ *** بِكُلِّ فَرْعِ حَمَامِ الْأَيْكِ قَارِعُهُ

رَوْضٌ لِعَيْنِ الْهَوَى رَفَّتْ أَرَْاهِرُهُ *** وَمَشْرَبٌ لِلصَّبَا طَابَتْ مَشَارِعُهُ⁽⁴⁴⁾

وتؤدي الطبيعة أثراً بارزاً في تجربة ابن دراج الشعرية، فهو يوظف الطبيعة في سياق الإشادة ببدائعه الفريدة المنبثقة عن موهبة فذة، وتجربة أصيلة⁽⁴⁵⁾.

يقول:

إِنْ شِئْتِ أَمْلَى بَدِيعَ الشَّعْرِ أَوْ كَتَبَا *** أَوْ شِئْتِ خَاطِبَ بِالْمَنْشُورِ أَوْ خَطَبَا
كروضة الحزن أهدى الوشي منظرها *** والماء والزهر والأنوار و العُشبا
أو سابق الخيل أعطى الحضر مُتَنَدًّا *** والشَّدَّ والكرَّ والتَّقْرِيبَ و الخببا⁽⁴⁶⁾

وتظهر الطبيعة واضحة في قصائد المدح عند ابن دراج من ذلك قوله:

شِيمَا سَنَا الْبَارِقِ الْمُنْهَلِّ فَالْتَمَحَا *** أَيَّ السُّرَى أَمْ أَمْ أَيَّ الْبِلَادِ نَحَا
وَاسْتَخْبِرَا نَفَحَاتِ الرِّيحِ هَلْسَبَكْتَ *** دُرًّا مِنَ النَّبْرِ أَوْ شَابَتْ دُجَى بِضْحَى
أَمْ اسْتَهَامَتْ هَوَادِي اللَّيْلِ فَاقْتَنَبَسَتْ *** أَمْ هَلْ تَضَلَّ حَادِي الْمَزْنِ فَاقْتَدَحَا⁽⁴⁷⁾

كما أن كثيراً من مطالع قصائده تفتتح بوصف الطبيعة ، من ذلك افتتاحه لإحدى قصائد المدح:

قُلْ لِلرَّبِّيعِ اسْحَبْ مَلَاءَ سَحَائِبٍ *** فَاجْرُرْ دُبُولَكَ فِي مَجَرِّ دَوَائِبِي
لَا تُكْدِينَنَّ وَمِنْ وَرَائِكَ أَدْمُعِي *** مَدَدًا إِلَيْكَ بِفَيْضِ دَمْعِ سَاكِبِ⁽⁴⁸⁾

ويقول في مطلع قصيدة أخرى:

كَذَا تَنْجَلَى الشَّمْسُ بَعْدَ كُسُوفِهَا *** وَتَبْرُرُ أَعْمَادُ الْوَعَى مِنْ سُيُوفِهَا
وَيَمْرَعُ بِالْأَشْجَارِ عُوْدُ رَبِيعِهَا *** وَيُونَعُ بِالْأَنْمَارِ كَرُّ حَرِيفِهَا⁽⁴⁹⁾

ويقول في افتتاح قصيدة أخرى:

الشَّمْسُ شَاهِدَةٌ وَإِنْ تَكُ وَاحِدَهُ *** فَشَهَادَةُ الْإِقْرَارِ أَعْدَلُ شَاهِدَهُ
عَرَفْنَاكَ فَاعْتَرَفْتُ بِأَنَّكَ وَاحِدٌ *** فِينَا كَمَا هِيَ فِي الْكَوَاكِبِ وَاحِدَهُ⁽⁵⁰⁾

ويمكن تقسيم الطبيعة في ديوان ابن دراج إلى قسمين: طبيعة أرضية، وطبيعة سماوية.

1. الطبيعة الأرضية: وتتمثل في المظاهر الطبيعية والحيوانات.

أ. المظاهر الطبيعية: ترد بصنوفها الثلاثة:

البرية: (كوصف الربيع، الزهر، الحدائق، العشب، الثمار، الجبال، السهول، الرياض.. إلخ)

الجوية: (كوصف الرياح، الصبا، الغبار)

المائية: (كوصف السيول، الموج، الماء، الثلج، الأنهار)

ب. الحيوانات:

(كوصف الطير، القطا، العقاب، الصقور، الرخم، النعام، الحمام، الغراب، الخيول، الأسود،
الظباء).

فمن أمثلة وصفه للطبيعة الأرضية قوله في وصف النرجس:

شَكَلَانِ مِنْ رَاحٍ وَرَوْضَةٍ نَرْجِسٍ *** يَتَنَازَعَانِ الشُّبَّةَ وَسَطَ الْمَجْلِسِ

مُتَبَاهِيَيْنِ تَلَوْنَا بَتْلُونَ *** مُتَبَارِيَيْنِ تَنَفُّسًا يَتَنَفُّسُ⁽⁵¹⁾

وقوله في وصف السوسن:

إِنْ كَانَ وَجْهُ الرَّبِيعِ مُبْتَسِمًا *** فَالسَّوْسُنُ الْمُجْتَلَى ثَنَائِيَهُ

يَا حُسْنُهُ سِنَّ ضَاحِكِ غَبَقٍ *** بِطَيْبِ رِيحِ الْحَبِيبِ رِيَّاهُ⁽⁵²⁾

وله في النيلوفر:

وَنَيْلُوفَرٍ قَمِنَ بِالدُّبُولِ *** يَرُوقُ فَيَدْبُلُ عَمَّا قَلِيلِ

يُلاقي الصَّبَاحَ بِيَمْنَى جَوَادٍ *** وَيُخْفِي الظَّلَامَ بِيَمْنَى بَخِيلِ (53)

ومن أمثلة ذكره للحيوانات قوله في القطا:

وَأَسْبَلَ لِي مِنْ سِتْرِهِ فَوْقَ سِتَّةٍ *** أَهْيَمُ بِهِمْ فِي الْأَرْضِ مِثْلَ الْقَطَا الرَّغْبِ (54)

و قوله في النعام:

رَمَقُوا صُفُوفَ جُنُودِهِ مِنْ فَرَسَخٍ *** فَأَرْتِكَ إِجْفَالَ الْحَمَامِ الشَّارِدَةِ (55)

وقوله في الطباء:

وَيَا حَنِينِ ظِبَاءِ الْفَقْرِ إِذْ فَقَدْتُ *** عَزَّالَهُنَّ وَفِي رَوْضِي مَرَاتِعُهُ (56)

2. الطبيعة السماوية:

(كوصف الغيث، السحاب، المزن، الغيوم، البرق، الرعد، النهار، الدجى، الشمس، الثريا، الشهب، الكواكب، زحل، الجوزاء، الشعرى، الأقمار).

ومن أمثلة وصفه للطبيعة السماوية قوله في وصف السحب:

سَحَابٌ تُرْجِيهَا الرِّيحُ فَإِنْ وَقَتْ *** أَنْافَتْ بِأَجْيَادِ النَّعَامِ فُيُولُ (57)

وقوله في الجوزاء:

وَأَبْرَزَتْ الْجَوَزَاءُ صَدْرَ زُمْرِدٍ *** مُحَلَّى بِأَفْدَانٍ مِنَ الدَّرِّ وَالْوَدَعِ (58)

وقوله في الشهب:

أُنَسَّمَهَا رِيَاكَ فِي نَفْحَةِ الصَّبَا *** وَأَجْلُو لَهَا سِيْمَاكَ فِي أَوْجِهِ الشُّهْبِ (59)

المبحث الرابع الطابع الثقافي:

كان المجتمع الأندلسي خليطاً من أجناس مختلفة، فهناك العرب الذين دخلوا الأندلس فاتحين، أو هاجروا إليها بعد الفتح، وهناك البربر الذين شاركوا في الفتح الإسلامي، أو نزحوا من الشمال الإفريقي، وهناك سكان الأندلس الأصليين من الأسبان الذين اعتنقوا الإسلام، وكذلك أصناف أخرى من جنسيات متعددة كالصقالبة وغيرهم.

"وقد اندمجت فئات المجتمع الأندلسي حيث وحد الإسلام بينها، وأصبحت اللغة العربية لغة الجميع، وساهموا جميعاً في الحضارة الإسلامية في الأندلس .

كما أن لأهل الأندلس عناية كبيرة باللغة العربية فقد تعربت الأندلس بعد الفتح بفترة قصيرة، ثم جاء الأمويون وهم متعصبون للغة العربية وآدابها، فعملوا على نشرها وخدمتها، وكان أكثرهم من الشعراء والخطباء، فازدهرت اللغة والأدب في الأندلس، وكان من نتاج ذلك هذا التراث الأدبي واللغوي الضخم الذي خلفه لنا الأندلسيون وساهموا به في خدمة اللغة العربية.

وقد كانت الأندلس درة الحضارة الإسلامية في أوروبا، وكانت مضرب المثل في الجمال والنظافة ومظاهر المدنية، فقد كان الأندلسيون بطبعهم ميالين إلى النظافة والعناية بالمظهر الحسن، والأناقة في اللباس والمسكن، وكانت طبيعة الأندلس تخلق الألباب، بمروجها الخضراء وأشجارها الجميلة، وأزهارها الفواحة، وأنهارها المتدفقة، ثم أضافوا إلى ذلك ما أحدثوه من قصور جميلة، ومدارس كثيرة، ومساجد عظيمة تدل على تقدم الفن الأندلسي في البناء، وعلى الذوق الجميل، وقد بقيت آثارهم إلى عصرنا هذا شاهدة على عظمتهم، وذوقهم الرفيع، ولم يخل المجتمع الأندلسي من عوامل الضعف، ومكونات الفساد؛ فقد كان كثير منهم يميل إلى حياة الترف والدعة والإسراف واللهو.

ثم إن وجود عدد من الإسبان الذين لم يسلموا، وعدد آخر من اليهود في وسط مجتمع الأندلس كان من عوامل الانهيار والضعف، إضافة إلى استعانة بعض الحكام وخصوصاً في

عصر الطوائف وما بعده بالنصارى، والإصهار إليهم كل ذلك أدى إلى انهيار الدولة الإسلامية في الأندلس، وخروج المسلمين منها في آخر الأمر" (60).

وقد كان لتلك الحضارة التي أنشأها المسلمون في الأندلس الأثر العظيم الواضح على أوروبا جميعها، فقد كانت أوروبا جميعها تعيش في عصر الظلام والانحطاط والجهل في الوقت الذي كانت الأندلس تعيش في قمة الحضارة، فتلقت أوروبا العلم عن الأندلس، ورحل الأوروبيون إليها؛ لدراسة الطب وعلوم أخرى.

وقد أقرَّ الأوروبيون بفضل الحضارة الإسلامية في الأندلس عليهم، وألّفوا في ذلك كتباً ودراسات كثيرة.

" وقد وصف شعراء الأندلس مظاهر حضارتهم وما اشتملت عليه، فوصفوا القلم والقرطاس والذن والزجاج والمواقد والشموع والمباخر والسرج والثريات، وأغرموا إغراماً خاصاً بوصف الآلات الحربية، وربما كانت المعارك التي خاضوها دفعتهم إلى ذلك، فتحدثوا عن الرمح والقوس والدرع والبيضة واللواء" (61).

وبرز هذا النوع من الشعر عند مجموعة من الشعراء من أبرزهم يحيى الغزال، وأحمد بن عبدربه، وابن دراج القسطلي، فهم يكثرّون في شعرهم من تصوير جوانب الحياة المتطورة في المجتمع الأندلسي (62).

وإذا أردنا تتبع هذا النوع من الشعر عند ابن دراج وجدناه يتمثل في جانبين هما:

1- التأثير بلغة أهل الأندلس وتقاليدهم.

2- تصوير التطور والنهضة في حياة الأندلسيين.

فدرى في شعر ابن دراج تأثراً واضحاً بلغة أهل الأندلس.

من ذلك استخدامه لمعاني كلمات من اللاتينية المحلية التي تسمى (رومانثي) فهو يذكر الكلمة من هذه الكلمات، ثم يستخدم معناها اللاتيني استخدام العارف بها، وبينى على ذلك فكرة شعرية⁽⁶³⁾.

من ذلك قوله في الحديث عن حصن لونة الذي فتحه المظفر:

فِيَا لَيْتَ قُوطاً حِينِ شَادَ بِنَاءَهُ * * * رَاهُ وَقَدْ حَرَّتْ إِلَيْكَ جَوَانِبُهُ

وَيَا لَيْتَ إِذْ سَمَّاهُ بَدْرًا مُعْظَمًا * * * رَاهُ وَقَدْ كَسَفَ الْعَجَاجَ مَعَارِبُهُ⁽⁶⁴⁾

يريد في هذين البيتين أن من بنى هذا الحصن - حصن لونة- من ملوك النصارى، ويعبر عنهم بكلمة قوط أطلقوا عليه (Luna) ومعناها باللاتينية (البرد)، وكذلك في اللغة الإسبانية الحالية، وهم لا يقدر أن هذا البدر سيكون غروبه على يد عبدالملك المظفر⁽⁶⁵⁾.

وفي شعر ابن دراج استعمال لألفاظ أندلسية خاصة، ومن أمثلة ذلك قوله:

وَأَنْصَبُ مَجَانِبًا مِنَ النَّيْمِ الَّتِي * * * أَحْجَارُهُنَّ مِنَ الرِّوَاظِمِ وَالنَّخْبِ

فكلمة (النيم) عند الأندلسيين هي القنينة، أو الزجاجاة، وكلمة (الرواطم) جمع رطومة، ومعناها القنينة أيضا، وهو لفظ أندلسي مأخوذ من اللغة الإسبانية القديمة⁽⁶⁶⁾.

أما تأثيره بتقاليد أهل الأندلس، فمنها ذكر بعض الاحتفالات والأعياد الخاصة بأهل الأندلس.

من ذلك قوله مهناً المظفر بيوم يحتفل به أهل الأندلس يسمى يوم (المهرجان):

وَأَفَا كَيَوْمِ الْمَهْرَجَانِ وَبَعْدَهُ لِلْفِطْرِ يَوْمٌ بِالسُّرُورِ جَدِيدُ

فَصَلِّ يُعَاوِدُ كُلَّ عَامٍ وَالنَّدَى فِي كُلِّ حِينٍ مِنْ يَدَيْكَ يُعُودُ⁽⁶⁷⁾

ومن ذلك ذكره (لعيد الفصح)، وهو عيد يحتفل به النصارى يقول:

وكان لها الفصحُ الأجلُ فأصبحتُ لناركَ فصحاَ مالها بعدها فصحُ⁽⁶⁸⁾

من التقاليد المنتشرة عند أهل الأندلس كثرة التنزه في الطبيعة، والتمتع بجمالها، وتعاطي الخمر

فيها:

في ذلك يقول ابن دراج:

مَا الْبَحْرُ فِي الْأَرْضِ الْعَرِيضَةِ بَعْدَمَا *** فَاضَتْ عَلَيْهَا مِنْ نَدَاكَ بِحَارُ

فِيهِ تَأَنَّفَتْ الْحَدَائِقُ وَازْدَهَى *** زَهْرُ الرَّيِّ وَتَفَتَّحَ النَّوَارُ

وَ تَنَافَحَتْ بِنَسِيمِهَا رِيحُ الصَّبَا *** وَ تَفَاوَحَتْ بِرِيَاضِهَا الْأَسْحَارُ

وَتَعَاطَبَتِ النَّدْمَاءُ كَأَسْ مُدَامِهَا *** وَسَرَتْ بِهَا الرُّكْبَانُ وَالسَّمَارُ⁽⁶⁹⁾

من تقاليد أهل الأندلس كثرة استعمال السفن في الحركة والنقل والحرب؛ بسبب موقع الأندلس الجغرافي كونها شبه جزيرة تحيط بها المياه من أكثر جهاتها؛ ولذلك يكثر وصف ابن دراج للبحر والسفن في السلم والحرب، ويكثر الصور والتشبيهات، المستمدة من البحر.

فمن ذكره للسفن في الحرب قوله:

وَكَتَائِبُ الْإِفْرَنْجِ إِذْ كَادَتْكَ فِي *** أَشْيَاعِهَا وَاللَّهُ عَنكَ يَكِيدُهَا

بِسَوَابِحٍ فِي لُجِّ بَحْرِ سَوَابِغٍ *** فَاضَتْ عَلَى الْأَرْضِ الْفَضَاءِ مُدُودُهَا⁽⁷⁰⁾

ومن استعمالها في النقل قوله:

إِلَيْكَ شَحَنَّا الْفُلْكَ تَهْوِي كَأَنَّهَا *** وَقَدْ دُعِرَتْ عَنِ مَغْرِبِ الشَّمْسِ غَرِيَانُ

عَلَى لَجَجِ خُضْرٍ إِذَا هَبَّتِ الصَّبَا *** تَرَامَى بِنَا فِيهَا تَبِيرٌ وَ تَهْلَانُ⁽⁷¹⁾

أما تصوير التطور والنهضة في حياة الأندلسيين، فنراه بوضوح في شعر ابن دراج، ومن أمثلته
رصده لحالة الترف والعمران الذي تجلى في قصورها المترفة.

يقول في وصف قصر يسمى (دار السرور):

دَارُ السُّرُورِ الْمُعْتَلَى شُرْفَاتُهَا *** فَوْقَ النُّجُومِ الزُّهْرِ فِي اسْتِعْلَائِهَا

وَكَأَنَّ عُرَّ الْمُزْنِ لَمَّا جَادَهَا *** نَشَرَتْ عَلَيْهَا مِنْ نَفِيسِ مُلَائِهَا

وَكَأَنَّما أَيْدِي السُّعُودِ تَضَمَّنَتْ *** إِبْدَاعَهَا فَبَنَتْ عَلَى أَهْوَائِهَا

فَكَأَنَّما اصْطَفَيْتِ طَلَاقَهُ بِشَرِّهَا *** مِنْ أَوْجِهِ الْأَحْبَابِ يَوْمَ لِقَائِهَا⁽⁷²⁾

ويقول في وصف قصر آخر:

وَقَصْرٌ تَجَلَّى فِيهِ يَحْيَى وَمُنْذِرٌ *** صَبَاحًا لِمَنْ يُضْحِي وَبَدْرًا لِمَنْ يُمَسِّي

يُزِيكُ النُّجُومَ الزُّهْرَ فِي مَجْلِسِ الْقَرْيِ *** مِنْ الطَّاسِ وَالْإِبْرِيْقِ وَالْجَامِ وَالْكَأْسِ

وَأَمْوَاهُ وَرَدٍ فِي وَرُودِ حِيَاضِهَا *** شِفَاءُ الظَّمَاءِ الْهَيْمِ مِنْ غُلَّةِ الْخِمْسِ⁽⁷³⁾

ومن وصفه لجوانب الحياة المتطورة قوله في وصف حمام:

وَأَنْعَمَ بِحَمَامٍ حِمَى لَكَ فَأَلُهُ *** وَعَلَى عُدُوكَتْرَحَةَ وَحَمَامُ

مِمَّا بَنَتْهُ لَكَ السُّعُودُ وَأَبْدَعَتْ *** فِيهِ الْمُنَى وَتَأَنَّقَ الْإِحْكَامُ

وَتَدَفَّقَتْ فِيهِ الْمِيَاهُ كَمَا جَرَى *** فِي كَفَّكَ الْإِفْضَالَ وَالْإِنْعَامُ

وَتَلِيهِ مِنْ جَوِّ الرَّبِيعِ سَحَابَةٌ *** فِيهَا تَسَاوَى اللَّيْلُ وَالْأَيَّامُ⁽⁷⁴⁾

ويقول في وصف شراع:

أَيُّ شِرَاعٍ لِأَيِّ بَحْرِ *** وَأَيُّ كِسْفٍ لِأَيِّ بَدْرِ

وَأَيُّ شَمْسٍ تَجَلَّلَتْهَا *** طُرَّةٌ صُبْحٍ سَعَتْ بِفَجْرِ (75).

كما يذكر في إحدى قصائده رصيفا، ويطلق في قرطبة على الطريق المرصوف الممتد بين الأسوار الجنوبية لقصر الخليفة، وضة الوادي الكبير:

لَقِيَ الْمَوْتَ فِي الرَّصِيفِ رَجَالٌ *** كُلُّهُمْ فِي بَنِي أَبِيهِ وَجِيهٌ

غَادَرَتْهُمْ صَوَارِمُ الْهِنْدِ وَالرُّزْ *** قِ حَصِيدَا يَا بُؤْسَ يَوْمِ لَقْوَةٍ (76).

الخاتمة

الحمد لله الذي فضله تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد و على آله وصحبه أجمعين .

وبعد

من خلال هذه الدراسة لشعر ابن دراج، يظهر بجلاء أثر الطابع المحلي في شعر ابن دراج، فشعر ابن دراج بين الأندلسية، بشكل يدل قارئه أن صاحبه من أبناء الأندلس المتأثرين بموقعها، وحياتها السياسية والاجتماعية واللغوية، أوضح تأثير.

فمن الناحية السياسية، كان ابن دراج شاعراً سياسياً، ملازماً لبلاط حكام الأندلس لعشرات السنين، ونجد أثر ذلك في كثرة ذكره للأمراء والقادة والشخصيات الأندلسية، وكذلك في ذكر كثير من أسماء البلدان التي اتصل بها المسلمون أثناء حروبهم مع النصارى.

ومن ناحية البيئة والجغرافيا، فقد كان ابن دراج كغيره من شعراء الأندلس، مفتوناً بجمالها، متغنياً بمحاسنها، فوجد الطبيعة حاضرة في أغراضه المختلفة مديحاً أو فخراً أو وصفاً، حتى يمكن القول إن ديوانه الذي يعد من أكبر الدواوين لاتكاد تخلو قصيدة فيه من إشارة للطبيعة.

أما من الناحية الثقافية، فقد أشاد ابن دراج في كثير من قصائده بما وصلت إليه الأندلس من تطور وازدهار ورقي، كما أنه تأثر باللغة المحلية لأهل الأندلس، فنرى في شعره استعمالاً

لمعاني كلمات من اللاتينية، وألفاظ أندلسية خاصة، بعضها متسرب من اللهجة اللاتينية المحلية. وبهذا يمكن القول إن ابن دراج كان من أبرز الشعراء الذين تأثروا بالطابع المحلي لإقليم الأندلس.

الهوامش

- (1) وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان، لابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، 1972، الجزء الأول، 48.
- (2) الروض المعطار في خبر الأقطار، لمحمد بن عبد المنعم الحميري، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى، 1975، 479، 480.
- (3) جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، لأبي عبدالله الحميدي، تحقيق بشار عواد معروف، محمد بشار عواد، دار الغرب الإسلامي تونس، الطبعة الأولى، 2008، 163.
- (4) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، لأبي محمد المراكشي، شرح صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية بيروت، الطبعة الأولى، 2006، 38.
- (5) ينيمة الدهر في محاسن أهل العصر، للثعالبي، شرح وتحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1983، الجزء الثاني، 119.
- (6) تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات (الأندلس)، د. شوقي ضيف، دار المعارف القاهرة، ص 192.
- (7) الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، لابن بشكوال، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري القاهرة، الطبعة الأولى، 1989، الجزء الأول، 77.
- (8) تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات، مرجع سابق، 192.
- (9) ديوان ابن دراج القسطلي، تحقيق، تحقيق د. محمود علي مكي، الطبعة الأولى 1961، منشورات المكتبة الإسلامية دمشق، 152.
- (10) الديوان، 456.
- (11) الديوان، 148.
- (12) الديوان، 150.

- (13) الديوان، 155 .
- (14) الديوان ، 64.
- (15) الديوان ، 460، 462
- (16) الديوان ، 385
- (17) الديوان ، 205
- (18) الديوان ، 108
- (19) الديوان ، 167
- (20) الديوان ، 315
- (21) الديوان ، 384
- (22) الديوان ، 494
- (23) الديوان ، 155
- (24) الديوان ، 91
- (25) الديوان ، 375
- (26) الديوان ، 374
- (27) الديوان ، 441
- (28) الديوان ، 22
- (29) الديوان ، 455
- (30) الديوان ، 455
- (31) الديوان ، 462
- (32) الديوان ، 63
- (33) الديوان ، 410
- (34) الديوان ، 375
- (35) الديوان ، 65
- (36) الديوان ، 391
- (37) الديوان ، 64
- (38) الديوان ، 360

- (39) الديوان، 454
- (40) شعر الطبيعة في الأدب العربي، د. سيد نوفل، مطبعة مصر القاهرة، 245
- (41) نوح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، للمقري، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، 1\27.
- (42) البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، د. سعد إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر للطبع والنشر والإعلان القاهرة، 67
- (43) الديوان، 16 .
- (44) الديوان، 138 .
- (45) عامريات ابن دراج القسطلي، وسام قباني، الهيئة العامة السورية للكتاب دمشق، الطبعة الأولى 487،2011
- (46) الديوان، 366
- (47) الديوان، 399.
- (48) الديوان، 167 .
- (49) عامريات ابن دراج القسطلي، وسام قباني، الهيئة العامة السورية للكتاب دمشق، الطبعة الأولى 487،2011
- (50) الديوان، 245 .
- (51) الديوان، 38،39 .
- (52) الديوان، 41
- (53) الديوان، 42 .
- (54) الديوان، 100 .
- (55) الديوان، 248
- (56) الديوان، 140
- (57) الديوان، 5 .
- (58) الديوان، 256
- (59) الديوان، 96 .

- (60) الحياة الأندلسية (الحياة الثقافية والاجتماعية)، موقع الأندلس، أكتوبر 2010.
- (61) البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، د سعد إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر للطبع والنشر والإعلان، 466
- (62) ملامح الشعر الأندلسي، د. عمر الدقاق، دار الشرق العربي ببيروت، 103.
- (63) الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، د. أحمد هيكل، دار المعارف القاهرة 1985، 324.
- (64) الديوان، 25.
- (65) الديوان، 25.
- (66) الديوان، 36.
- (67) الديوان، 26.
- (68) الديوان، 391.
- (69) الديوان، 153.
- (70) الديوان، 64.
- (71) الديوان، 87.
- (72) التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، للكتاني، إحسان عباس، دار الشروق، الطبعة الثانية، 1981، 70.
- (73) الديوان، 511.
- (74) الديوان، 252.
- (75) الديوان، 253، 254.
- (76) الديوان، 429، 430.

قائمة المصادر والمراجع

1. الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، د. أحمد هيكل، دار المعارف، القاهرة .
2. البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، د. سعد إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر للطبع والنشر والإعلان، القاهرة .

3. تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة .
4. التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، للكتاني، إحسان عباس، دار الشروق، الطبعة الثانية .
5. جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، للحميدي، تحقيق: بشار عواد، محمد بشار، دار الغرب الإسلامي تونس، الطبعة الأولى، 2008.
6. ديوان ابن دراج القسطلي، تحقيق د. محمود علي مكي، الطبعة الأولى، 1961. منشورات المكتب الإسلامي، دمشق .
7. الروض المعطار في خبر الأقطار، للحميري، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى، 1975.
8. شعر الطبيعة في الأدب العربي، د. سيد نوفل، مطبعة مصر القاهرة .
9. الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، لابن بشكوال، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري القاهرة، الطبعة الأولى، 1989.
10. عامريات ابن دراج القسطلي، وسام قباني، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، الطبعة الأولى. 2011.
11. المعجب في تلخيص أخبار المغرب، للمراكشي، شرح: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية بيروت، الطبعة الأولى، 2006.
12. ملامح الشعر الأندلسي. د. عمر الدقاق . دار الشرق العربي، بيروت.
13. نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، للمقري، تحقيق د. محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت .

14. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر_ بيروت، 1972.

15. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، للثعالبي، شرح وتحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية _ بيروت، الطبعة الأولى.